الأدب الإسلامي

بين التأسيس المرجعي والوعي المصطلحي

أ.د.آمال لواتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة

ملخص:

طُرِحَت إشكالية مصطلح الأدب الإسلامي ومفهومه في النقد الأدبي العربي المعاصر، وتم الخوض فيها من خلال اتجاهين مختلفين: اتجاه رافض للمصطلح متنكر له، وآخر متبن له ومدافع عنه في ظل معطيات ثقافة الإبداع، التي اتخذت أيضا مسلكين: مسلك منفتح على الثقافي والمعرفي والكوني في ظل دعوات العالمية والعولمة، وآخر منفتح على الأصيل في ظل الإيمان بالإنّية الحضارية. وبين جدل الرفض والقبول ارتأينا طرح هذا الإشكال في جوانبه المختلفة وعرض وجوده الفعلي كمصطلح ومفهوم له مرجعيته الدينية والتاريخية التي غيبتها المفاهيم الغربية الفلسفية والمذهبية المعاصرة، وأسهمت في غيابها افتقاد الأدب إلى قراءة واعية تقبل المختلف وتدافع عن الأصيل. وتتحدد في ضوء ما سبق المقاصد المتوخاة من هذه الدراسة وهي:

–توجيه مسار الأدب العربي بعد ندرة التقييم الحقيقي له في ظل تصادم الاتجاهات الأدبية، التي لم تتفق على تعريف مناسب للأدب، ولا على نبعه العقائدي، مما أدى إلى غياب خصوصيته الحضارية بعد شيوع الفهم الخاطئ لكثير من المصطلحات والمفاهيم غير المقنعة.

–تحديد مسار التأسيس المرجعي للأدب الإسلامي بداية من القرآن والسنة والتراث النقدي القديم، وإبراز معطيات التأصيل النقدي في النقد العربي الحديث والمعاصر، لعرض عدة إشكالات متعلقة بالمصطلح والمفهوم.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإسلامي، المصطلح، المفهوم، التأسيس، التأصيل.

Abstract

The notion of the Islamic literature and its concept as a critical problematic, had been asked in the field of contemporary Arab literature and it had been delved through two different tendencies; the first one refused this concept and denied it, whereas the second adopted it under the creation culture data which had taken two ways: a way opened on all what is cultural cognitive and universal under to globalization calls, and another way opened on what is authentic believing in to civilisational identity within the dispute existing between the acceptance and refusal, we have dealt with this problem in all its aspects showing its real existence as a concept, and as a notion having a historical

religious background which had been vanished by the contemporary doctrinal and philosophical occidental notions. The absence of a conscious reading in the literature had also contributed in the absence. Between the debate of rejection and acceptance, we decided to present this problem in its various aspects and present its actual existence as a term and concept that has its own religious and historical reference, which was absent from contemporary Western philosophical and doctrinal concepts, and contributed to its absence by the literature's lack of a conscious reading that accepts what is different and defends the original. The present paper aims at:

- Orienting the Arab literature's process after the lack of a real evaluation under the clash between the different literary tendencies which diverged in putting a suitable definition of literature and its sectarian origins, the fact that led to the absence of its civilisational specificity after the wrong comprehension of many concepts and unconvincing notions.
- Determining the research process from the beginings of the referral institutional of the Islamic literature starting from the holy Quoran to the Sunna and the critical patrimony, to the modern and the contemporary criticism, to highlight the data of the critical rooting in the modern and the contemporary Arab criticism in order to show many problematics related to the notion and the concept.

Key words : Islamic Literature, the concept, the notion, Institution, Rooting.

مقدمة:

أصبحت القضية الشائكة في النقد الأدبي العربي المعاصر هي قضية بناء المفاهيم، والمفاهيم الاصطلاحية تحديدا للتأصيل للخطاب الإسلامي الأدبي والنقدي، وباتت تشكل هماً معرفياً وحضارياً في الثقافة الإسلامية؛ ذلك أن المفهوم يُعد الفضاء المعرفي والحضاري الذي يحدد حركة المعرفة والحضارة لأية أمة، حيث يقول في هذا "جاسم الفارس" المفهوم هو وعاء حضاري تتكثفُ فيه أبعادها الأساسية: اللغة والعقيدة والمنهج التي تحدد تصور الإنسان لله والكون والإنسان، والذي في ضوئه تشتغل العلوم والآداب كافة[1]. ومن خلال هذه النظرة للمفهوم سنعمل على كشف بنية مفهوم الأدب الإسلامي، وأهمّ المصطلحات الواردة حوله والتي تناولها دارسو الأدب الإسلامي، انطلاقا من التصور الإسلامي الصحيح والعقيدة الإسلامية الثابتة للتأكيد على أصالته ورساليّته وجماليّاته.

أولا: الأدب الإسلامي والتأسيس المرجعي / حضور المفهوم وغياب المصطلح:

1- الأدب والجذر الدلالي (الأخلاقي / الجمالي / المعرفي):

ليس من السهولة بمكان أن نحدد مفهوما أو تعريفا للأدب، إذ لديه وجه واحد أو وظيفة واحدة، لكن ما ينبغي أن نلاحظه هو المبدأ الأخلاقي الذي تبناه الاصطلاح العربي القديم، وسنبدأ من المعنى اللغوي الذي تلاحم مع المعنى الاصطلاحي تدريجيا.

إن كلمة أدب في معناها الأول[2]- هي أن يتكرم الرجل ويدعو غيره من الأهل والأصدقاء إلى الطعام وهذا الصنيع لا يقوم به إلى من كان ذا أخلاق حميدة ونفس كريمة وسلوك مهذب، كما أن الذين يحضرون إلى الطعام يظهرون مثل ذلك من

[1] جاسم الفارس، في الأدب الإسلامي [المعني والوظيفة]، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2014، ص6.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: أدب.

الخلق الحميد والنفس الكريمة والذوق الرفيع المهذب، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع الذي يدعو إليه الناس مدعاة ومأدبة ... وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم "إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض، فتعلموا من مأدبته" حيث شبه القرآن الكريم كأنه صنيع صنعه الله للناس جميعا، ثم دعاهم إليه ليصيبوا من منافعه وبركاته، وجاءت أدبّه: بمعنى علمّه التأدب والأدب، أي الخلق والتهذيب- والذي أكده أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم "أدبّني ربي فأحسن تأديبي".

والبارز من المتون القديمة أن هذه الكلمة في نموها الزمني وثرائها الدلالي تضمنت معاني لصيقة بالشمائل النفسية والتربية الرفيعة، والأنس بالآخرين معبرة عن المفاهيم الجديدة المتسربة إلى البيئة العربية مع صدر الإسلام، وظل هذا المعنى الخلقي لصيقا بكلمة أدب وإن اتسعت دائرة شمولها ابتداء من القرن الأول للهجرة، فظهر ما يسمون بالمؤدبين الذين ينشئون الناشئة على الخلال الحميدة، ثم ارتبطت ارتباطا وثيقا بكل فكرة يراد من ورائها التقويم والتهذيب وتعليم السلوك الحسن مثل الأدب الكبير، الأدب الصغير، أدب الكاتب، أدب النديم، أدب المجالسة، أدب القاضي، أدب الوزير[1]. بل أصبحت صفة الأدب تدل على مجموع المعارف التي تجعل من المرء إنسانا ظريفا مشاركا في شؤون عصره، مطلعا على فنون الشعر والخطابة والسير وتاريخ القبائل وأيام العرب، متمكنا من أسرار اللغة والبلاغة، منفتحا على مختلف أفكار وعلوم عصره، وتمثل هذا المفهوم للأدب أفضل تمثل آثار الجاحظ وابن المقفع وأبي حيان التوحيدي وغيرهم[2].

وتدرج مفهوم الأدب من المفهوم الوظيفي الأخلاقي، والمفهوم المعرفي إلى المفهوم التقني أو الفني الذي حدده العلامة "ابن خلدون" من خلال تعريفه الذي انطلق من جانبه الشكلي، فيعرفه بأنه "الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"[3] مضيفا إليه كل ما يساعد على هذه الإجادة في الشعر والنثر من أخبار وتاريخ، وأسلوب وبلاغة وبيان... مما يساعد على حصول ملكة التعبير.

وبهذا انقسم مفهوم الأدب في التراث الأدبي والنقدي إلى عدة جوانب:

- **الجانب الوظيفي الأخلاقي**: وهو توجيه الإنسان نحو الخصال الحميدة في النفس والمجتمع.

- **الجانب المعرفي**: وهو مجموع ما يستطيع إنسان ما، أن يلم به من المعارف والفنون ويعمل على تسخير معارفه وثقافته على صقل ذهن المجتمع وتوجيهه نحو الأحسن.

- **الجانب التقني**: هو ما يساعد على حصول ملكة التعبير من بيان وبلاغة وغيرها مما يحقق الجانب الشكلي أو الجمالي في الأدب[4].

---

[1] أيمن مرتضى، فن الأدب، مجلة المنطلق، بيروت، ع 73 / 1411 هـ، ص 9.

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط 5، بيروت، دار العلم للملايين، 1984، ص 315. وكذلك: عبد السلام المسدي، علم الأدب ومنزلته بين العلوم في تراثنا، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع 62 / 1991، ص 4 ـ 10.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، القاهرة، دار كتاب الشعب، د. تا، 521.

[4] أما في العصر الحديث حاول بعض المستشرقين ومن شايعهم أن يبعدوا كلمة "الأدب" عن هذا المضمون الأخلاقي، فجعلوها مشتقة من "الدأب" التي تعني العادة والديدن، وكأنهم يريدون أن يقولوا إن الأدب احتراف وصنعة ومراس، وصار يلتقي أكثر مع المضمون المعرفي، مع كثير من العلوم في العصور المتأخرة كالفلسفة والتاريخ

ومن خلال استقراء تام وشامل لتاريخ الأدب ونقده يمكننا أن نحدد مفهوم الأدب الإسلامي عبر مراحل تاريخية متواصلة حتى عصرنا الحاضر بدءا من نزول الوحي إلى يومنا الأدبي هذا.

2- الأدب الإسلامي في القرآن الكريم والحديث الشريف:

إن العقيدة قد أنشأت وعيا جديدا وقد أحدثت تغييرا كثيرا في الفكر والنقد، والاجتماع والقيم، بما في ذلك قيمة الجمال ولاسيما جمال الشعل الذي وقف عنده الوحي بنص صريح فصل فيه بين مسألة شعر الحق والخير والجمال، ومسألة شعر الباطل والشر والقبيح: قال تعالى[:**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)**][1].

وبيّنت التفاسير[2] تصورا معينا للأدب من خلال تأسيس القرآن الكريم للنظرية في الشعر والأدب وتأصيل مفهومين يحددان معالم مدرستين[3]:

- **الشعر الجاهلي**: وهو ما يصدر من أدب عن تصور لا علاقة لمرجعيته بالوحي الرباني.
- **الشعر الإسلامي**: وهو ما ينبثق عن تصور إسلامي للكون والحياة ويتخذُ الوحي مرجعيتهُ الأساسية.

وعلى هذا الأساس فإنا هذين المفهومين لا يرتبطان بزمان محدد أو مكان معين ولا يراد بهما ما انطبع في كثير من الذهنيات التي تؤرخ الأدب بالاعتبار السياسي بعيدا عن الاعتبار العقائدي أو الفكري، مما يبين أن ذلك التأصيل الرباني والتأسيس القرآني لمفهومي "الأدب الإسلامي" و"الأدب الجاهلي" هو تأسيس وتأصيل خالد .

فالشعر الإسلامي كما يؤسس له النص القرآني وكما يفسره سيد قطب في ظلاله يبنى على عنصري الإيمان والعمل الصالح ليتحقق فيه ثبات الروح (الإيمان)، والغاية الإسلامية (العمل الصالح)، وهذا يقود إلى فهم الحياة ورؤيتها من زاوية إسلامية، وجعل مادة الشعر والفن من بدائع الكون وخفايا النفس البشرية[4].

أما في الحديث النبوي الشريف فقد أُثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث تبين كيف كان الدافع للبحث عن الشعر الصالح قويا ،وتحدد المعيار الإسلامي لتمييز الأدب الإسلامي من الأدب الجاهلي منها: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا"[5]؛ "الشعر كلام من كلام العرب، جزل تتكلم به في نواديها وتُسلّ به الضغائن من بينها"[1]؛ "إنما

وعلم النفس وعلم الاجتماع ... مما يساعد على تحليل نفسية الإنسان أو آليات المجتمع وبيئته. كما احتفظ على الجانب التقني وصار الأدب في عمومه هو صياغة التجارب الإنسانية بلغة موحية مؤثرة، أو بنية لغوية ذات معنى وذات أثر في النفس. ينظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 325.

[1] سورة الشعراء / 224 ـ 227.

[2] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، د. تا، ج 13، ص 153؛ محمد الطاهر بن عاشور، التحليل والتنوير، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. تا، ج 11، ص 208 ـ 211.

[3] حبيب يوسف مغنية، الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، ط 1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1995، ص 77.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت / القاهرة، دار الشروق، 1406 هـ / 1986 م، مج 5، ص 2621 ـ 2622.

[5] أحمد بن حنبل، المسند، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د. تا، 5 / 13.

الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[2].

إذن فلقد كانت "سورة الشعراء" هي المحرك الأساسي والمؤصل الجوهري لإسلامية الأدب، ثم جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيقا لذلك ومنذ ذلك الوقت كان مفهوم الأدب الإسلامي واضحا في الأذهان بسبب أن التصور الإسلامي للشعر من حيث الوظيفة كان واضحا وبسبب أن المرجعية الأساسية كانت واضحة كذلك[3]. وقد رافق الشعرُ في كل العصور تأثرا بمثالية الإسلام الخلقية والروحية[4].

3- الأدب الإسلامي في التراث النقدي العربي:

إن مصطلح "الأدب الإسلامي" لم يتحدد في المؤلفات النقدية لأن الصراع بين المصطلحات التي تقف موقف التناظر والتضاد إنما ينشط تبعا لقوة الصراع الفكري بين الجاهلية والإسلام، وبين الكفر والإيمان، ويضعف لدرجة الاختفاء تبعا لضعف الصراع الفكري والعقائدي. لكن ذلك لا يعني اختفاء المفهوم الذي يميز بين أدب الإيمان وأدب الكفر في المؤلفات النقدية، فهذا ابن سلاّم الجمحي صاحب أو مؤلف نقدي يقسّم الشعراء من وجهة العقيدة إلى أقسام ثلاثة: (فحول شعراء الجاهلية، فحول الشعراء الإسلاميين، شعراء يهود المدينة).

ولا شك أن المقياس المستخدم هنا هو المقياس العقائدي وأن المصطلح (إسلامي، جاهلي، يهودي) كان مصطلحا جديدًا في النقد الأدبي[5].

ولم يكن ابن سلام وحده الذي اتجه هذه الوجهة في القرن الثالث الهجري وإنما كان ابن قتيبة أيضا يوظف مصطلح (جاهلي-إسلامي) كثيرا، كأن يذكر أن حسان بن ثابت جاهلي إسلامي متقدم الإسلام وأن النمر بن تولب جاهلي وأدرك الإسلام فأسلم، وأن شبيل بن ورقاء كان جاهليا فأدرك الإسلام وأسلم إسلام سوء. وقد يتبادر إلى الذهن إلى أن التوظيف للمصطلحين (إسلامي-جاهلي) هنا كان يحمل دلالة زمنية فقط لكن ماذا تعني عبارة "أسلم إسلام سوء" إذا لم تكن تدل على أن شعر شبيل بن ورقاء كان يحمل تراكمات التصور الجاهلي. كما تكررت عنده ملفوظات أخرى تدل على مفهوم ابن قتيبة للأدب الإسلامي: (رقيق الإسلام، زنديق، فاسق، كافر، نصراني، الأوثان ...)[6].

كما أن المفهوم الإسلامي للأدب تبين بصورة أوضح عند النقاد الفلاسفة بميل الفلسفة بطبيعتها إلى البحث عن الحقيقة، فنحن نجد الفارابي في معرض حديثه عن مهمة الأشعار يتحدث عن تخيل الأمور الإلهية والخبرات وجودة تخيل الفضائل وتحسينها وتقبيح الشرور والنقائص وتخسيسها. كما نجد ابن رشد يقول "النوع الذي يسمونه النسيب إنما هو حث على الفسوق فيستعمل مصطلح "الفسوق" وهو مبين لمصطلحات الإسلامية ليدل على فعل الأدب في النفس حين يكون

---

[1] ينظر: ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط 2، القاهرة، 1955، ج 1، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] ينظر للتوسع: أحمد رحماني، النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 1990 م.

[4] ينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 8، القاهرة، دار المعارف، د. تا، ص 34.

[5] ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، بيروت، دار النهضة العربية، د. تا، ص 10، 70.

[6] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار إحياء العلوم، ص 192 ـ 195.

قادرا على تخيل غير المقبول شرعا وخُلقًا[1].

ومجمل القول منذ أن جاء الإسلام وله علاقة وطيدة بالتصور الإسلامي في تحديد مفهوم الأدب كما رأينا عند ابن سلام الجمحي وابن قتيبة، وكذلك المرزباني، والجرجاني، والثعالبي، وحازم القرطاجني، وابن خلدون، وغيرهم[2].

4- الأدب الإسلامي في النقد العربي الحديث:

لما جاء عصر النهضة أخذ الأدب العربي بصفة خاصة والإسلامي بصفة عامة يتنفس ليبعث من جديد، لم ينهض إلا على تلك الأسس الإسلامية التي تشكل قاعدة البنية الثقافية للحضارة الإسلامية. وكانت النهضة الفكرية الإسلامية قاعدة متينة لبعث الأدب فظهرت مدرسة "الإحياء" وكان من أبرز أدبائها ونقادها العقاد، الرافعي، أحمد أمين، أحمد حسن الزيات وغيرهم، وقد بدأ الطرح الإيديولوجي يصعد شيئا فشيئا حينما بدأ بعض النقاد العرب غير المسلمين يجرؤون على كسر الأدب واللغة العربية تحت ستار "المذهب الجديد"[3].

ففي كتاب الرافعي مثلا تحت راية القرآن تبين أن الصراع النقدي -الذي كان مع طه حسين- لم يكن هامشيا وإنما كان في صميم مشكلة إسلامية الأدب ومقصديته[4]، وإن اتسمت ملامح الأدب الإسلامي على يد مصطفى صادق الرافعي الرافعي فقد كانت الرؤية الإسلامية الأكثر تطورا ونضجا تتألف في مقالات أحمد أمين التي جمعت في كتابه "فيض الخاطر"، فهو يقسم الأدب دائما إلى قسمين أدب المعدة، وأدب الروح، وأدب القوة، وأدب الضعف، وأدب المادة وأدب الروح...)، فالأدب في عمومه -كما يرى- يكتسب قيمته إذا نهض بهذه الرسالة التي تستوي على دعائم أربعة هي: إحياء الضمير، وبث القوة النفسية، وتقوية العاطفة وضبطها، وترقية الآداب الإنسانية[5].

كما أن العقاد كان متقاربا في نظرته إلى الأدب ورسالته مع أحمد أمين حيث أدرك في كثير من كتاباته الفرق بين أدبين في لغة واحدة أحدهما يتشيّع عقيدة لبقايا الآداب الإسلامية وثانيهما يتشيّع الآداب الأوربية لأن روحه أقرب إلى روحهم، وإن اختلف لسانه عن لسانهم[6]. كما ناقش أحمد حسن الزيات في مقالاته "وحي الرسالة"، العلاقة بين الأدب والدين، ودرس الأدب القائم على الإيمان والقيم الإسلامية[7].

وعلى العموم مهدت مدرسة الإحياء لوجود نظرية الأدب الإسلامي برفضها للأدب المادي والبحث عن الأدب الروحي، الأدب الذي يحمل رسالة تسمو بإنسانية الإنسان[8].

---

[1] ينظر: ألفة كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ط 1، بيروت، دار التنوير، 1983.

[2] ينظر للتوسع في ذلك: أحمد رحماني، مرجع سابق، ص 40 ـ 43.

[3] ينظر: محمدمحمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، بيروت، دار النهضة، د. تا؛ وكذلك: حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، بيروت، دار النهضة، 1392 هـ / 1972 م، ص 193.

[4] ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن الكريم، ط 6، بيروت، دار الكتاب العربي، 1974، ص 15 ـ 19.

[5] ينظر: أحمد أمين، فيض الخاطر، ط 5، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1965، ج 1، ص 20، و ج 2، ص 82 ـ 85.

[6] ينظر: عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، بيروت، المكتبة العصرية، ص 166 ـ 170.

[7] ينظر: أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة، فصول في الأدب ط 8، والنقد، القاهرة، دار النهضة، ج 4، ص 260 ـ 261، 345 ـ 347.

[8] ينظر للتوسع، أحمد رحماني، مرجع سابق، ص 53 ـ 73.

ثانيا: الأدب الإسلامي في النقد الإسلامي المعاصر والوعي المصطلحي:

1- الأدب الإسلامي وبنية المفهوم:

يعد **سيد قطب** من الأوائل الذين حاولوا التعريف بهذا الأدب، ونجد في تعريفه مستويين عامًا وخاصًا وكل واحد منهما يحدد مفهوما للأدب من زاوية خاصة تختزل ما يحتويه من صفات مميزة. فأما الأدب بمفهومه العام فيعرفه بـ "أنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"[1]. وأما الأدب بمفهومه الخاص فيتجلى من قوله: "الأدب كسائر الفنون تعبير مُوحٍ عن قيم ينفعل بها ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور للحياة... والإسلام تصور معين للحياة تنبثق من قيم خاصة لها فمن الطبيعي إذن أن يكون التعبير عن هذه القيم أو عن وقعها في نفس الفنان بالون خاص، وأهم خاصية أن يكون التعبير عن هذه القيم أو عن وقعها في نفس الفنان بالون خاص، وأهم خاصية للإسلام أنه عقيدة ضخمة جادة فاعلة خالقة منبثقة. نملأ فراغ النفس والحياة وتستنفذ الطاقة البشرية في الشعور والعمل في الوجدان والحركة: فلا تبقى فيها فراغا للقلق والحيرة ولا التأمل الضائع"[2].

حاول الناقد من خلال التعريفين المذكورين الوصول إلى صيغة مثلى، تجمع خصائص الأدب في أشكاله المختلفة وصوره ودلالاته المعنوية واللفظية. إذ يركز التعريف **الأول** على أهمية اجتماع عنصرين في العمل الأدبي يتمثلان في التجربة الشعورية ثم التعبير عنها في صورة موحية. ويركز **الثاني** على أهمية أن يكون للأديب عالمه الخاص وتصوره الذاتي للحياة والكون، إلا أنه يؤكد على أهمية أن يكون هذا التصور منطلقا من التصور الإسلامي لهما، مؤكدا على طبيعة التصور الإسلامي للحياة، وطبيعة الفكرة الإسلامية ذاتها بقوله: «المهم أن نقرر هنا أن الأدب الإسلامي أو الفن الإسلامي أدب أو فن موجه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتباطات الكائن البشري فيها، وموجه بطبيعة الفكرة الإسلامية ذاتها وهي طبيعة حركية دافعة للإنشاء والإبداع، والرقي والارتقاء، وأخيراً فإن الإسلام لا يحارب الفنون ذاتها، ولكنه يعارض بعض التصورات والقيم التي تعبر عنها هذه الفنون»[3].

ومجمل القول إن مفهوم الأدب الإسلامي عند سيد قطب يبدأ بالمفهوم العام للأدب من حيث هو تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية وينتهي بالمفهوم الخاص الذي يحدد طبيعة التصور الذي تنبثق عنه الصورة الأدبية الكلية ولذلك يرتبط بالقيم المنبثقة عن هذا التصور الذي يصغ الأدب شكلا ومضمونا بصيغة إسلامية كما أن سيد قطب حاول الإجابة عن بعض أسئلة الأدب الإسلامي، روحا وصورة وفكرا -في كتبه (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، التصوير الفني في القرآن الكريم، دراسات إسلامية في التاريخ، فكرة ومنهاج)، ولكن مع ذلك فإن الإجابة التي ستكون أنضج تتضح عند غيره من النقاد مثل: محمد قطب، نجيب الكيلاني، عماد الدين خليل، محمد إقبال عروي، عدنان علي رضا النحوي.

وهذا **محمد قطب** صاحب الكتاب الرائد "منهج الفن الإسلامي" يقول: "إن الفن الإسلامي ليس هو الفن الذي

---

[1] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط8، القاهرة، مصر، 2003، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] المرجع نفسه، ص20.

يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة في صورة فلسفية ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات. وإنما هو أشمل من ذلك وأوسع، إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود"[1]. وتبيّن لنا من هذا التعريف أن:

– الفن الإسلامي، ومنه الأدب، لا يتحدد بموضوعه ولكن ذلك لا يعني أبدا أن الموضوع لا قيمة له وإنما يعني أنه لا يستطيع وحده أن يحدد معنى مفهوم الأدب الإسلامي فليس الموضوع هو المهم، إنما المهم هو الموقف الفكري والشعوري منه في إطار التصور الإسلامي.

– في الأدب الإسلامي يلتقي الحق والجمال بل ويصبح الحق هو ذروة الجمال عندما يشمل كل منهما كل حقائق الوجود التي تنتهي كلها إلى الحقيقة المطلقة ألا وهو الله وحده.

– التعبير الجميل هو إحدى الخواص المميزة التي تحدد مفهوم الأدب الإسلامي مما يجعله حدا فاصلا بين الأدب وأسلوب الوعظ والإرشاد والفلسفة والتصور وغير ذلك لأن صورة الأدب وشكله هما اللذان يحددان الأدبية كما أن التصور الإسلامي هو الذي يحدد الإسلامية وهكذا يتجلى لنا مفهوم الأدب الإسلامي جامعا "الأدبية والإسلامية ".

وهذا المفهوم يوسع دائرة الأدب الإسلامي؛ لأن تصور الإسلام للحياة والكون والإنسان. وهذا ما يجعل الأدب الإسلامي أدباً إنسانياً لا يتقيد بحدود الزمان والمكان، فالإسلام له نظرته الشمولية للوجود كله بمادياته وروحانياته.

لئن كان محمد قطب قد عني بتبيين الفن الإسلامي عموما فإن **نجيب الكيلاني** قد أبدى عناية كبيرة بمفهوم الأدب الإسلامي وقد عرفه بقوله: "الأدب الإسلامي تعبير جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة ومحرك للوجدان والفكر ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط"[2].

لقد أجلى هذا التعريف عناصر خاصة هي (إيمان الأديب، التأثير، جمال التعبير، الأسس العقدية، المتعة، المنفعة، التحفيز ...)، وهي عناصر لم تكن غائبة في تعريف سيد قطب ومحمد قطب ولكنها لم تكن مجموعة بهذا الشكل الذي يعطي التعريف دقة وعمقا، غير أن الملاحظ أن التعريفات لا تزال تتمسك أكثر فأكثر بجانب الإسلامية وما ينبثق عنها من خصوصيات مثل الرسالية، الجمع بين الممتع والنافع، التحفيز للعمل الصالح) وهي خصوصيات رأيناها مثبتة في النص القرآني الذي حدد معالم مدرسة الأدب الإسلامي أدق تحديد.

فالأدب الإسلامي مصدره الإسلام بكتابه وسنته وتعاليمه وقيمه وقالبه التعبيري الجميل ذي الإيحاء والدلالة، ولا ينفي ذلك كله عنصر المتعة واللذة مع المنفعة، لأن الإسلام لا يمنع التسلية المباحة التي لا تؤثر في عبادة الإنسان وجديته في الحياة، والقيام بالتكاليف والواجبات.

كما عرَّفه الناقد **حسن بريغش** بأنه «التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي»[3]، ويقصد بذلك أن الأدب الإسلامي لابد أن تتوفر فيه عناصر الجمال الفني للفكرة، وحسن تنسيق المضمون

---

[1] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط 6، القاهرة، دار الشروق، ص119.

[2] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط 1، الدوحة، كتاب الأمة، 1987، ص36 .

[3] محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي: أصوله وسماته، دار البشير، ط1، عمان، 1992، ص114.

وجودة الصياغة حسب مقتضيات السياق والمقام، وكذلك أن يصدر هذا الأدب من أديب مسلم ويعرض الحياة البشرية من كل الجوانب مع العناية بالتصور الإسلامي، واشترط في الأدب الإسلامي أن يكون صادراً من الأديب المسلم وأن يكون تعبيراً جميلاً للحياة من خلال التصور الإسلامي، لأن الأدب الإسلامي، هو الأدب الذي يحمل رأي الإسلام، ويوافق شرعه ولا يخرج عن إطاره مهما تكن الأسباب، فالأدب الإسلامي أدب ينبع من الإسلام والمسلمين له سماته، قد يلتقي مع مذهب ما أو غيره ولكنه يبقى إسلاميا ويبقى ذاك غير إسلامي[1]. فالأدب الإسلامي عنده: «تعبير عن التصور الإسلامي في الحياة بكل أبعادها وألوانها»[2].

ويعرفه **عبد الرحمان رأفت الباشا** بأنه: «التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان والمعبّر على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته ولا يجافي القيم الإسلامية»[3].

فالأدب لا بد أن يحمل مضمونا هادفا لا يكتفي بجمال التعبير وروعة التصوير؛ لأن الهدف الأسمى هو توظيف الأدب لكي يرقى بالإنسان المسلم فكراً وروحاً وسلوكاً واتجاهاً. وهذا السمو أو الرقي لا يتم إلا وفق القيم الإسلامية. وهذا التعريف أيضا يطرح لنا قضية الشكل والمضمون، فالأديب المسلم مطالب بالالتزام بكل الأشكال الفنية التي تميز الأنواع الأدبية المختلفة، ثم تطوير هذه الأشكال بما يتناسب مع التعبير العصري، وذلك كله من الأهداف السامية للأدب ومن خلال القيم الإسلامية التي تصبغ العمل الفني وتتشبع به، فالأدب بهذا المفهوم تعبير عن الضمير المسلم الحي، وعقله، المستنير، وروحه، العالية، وتاريخه، الغني، وتراثه، الحضاري الزاخر الإنساني.

أمَّا **عماد الدين خليل** فيعتبر الرائد في تقديم تعريف موجز للأدب الإسلامي اعتمده بعده كل دارس للأدب الإسلامي، فعرفه بأنه: «تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود»[4].

وفي هذا التعريف يحدد الناقد ركنيين أساسيين للأدب الإسلامي، يتضمن كل منهما عناصر فرعية وهما:

– **التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة:** فلفظة (تعبير) تكشف عن نوعية العمل، وصفة (جمالي) تبين شرط العمل والصفة الثالثة (المؤثر) تشير إلى غايته وهدفه، أما لفظة (الكلمة) فتوضح أداة الأدب، وعليه يكون الأدب الإسلامي استجابة لضرورة التعبير عن النفس، وإظهار المشاعر، إلا أن هذا التعبير في مجال الأدب يتحقق بالكلمة وليس بأية أداة أخرى[5]، وهذا التعبير يتوجب توافر سمة الجمال في الكلمة، إذ من خلالها تتحقق قدرة الأديب الإبداعية.

– **التصور الإسلامي:** أمّا التصور الإسلامي في شموليته وتوازنه وتفاصيله، فهو مادة الأدب الإسلامي ومنبعه، فهو أساس القيم التي ينهل منها الأدب الإسلامي ولا ينفصل عنها، وبهذا يكون أساس التفريق بين الأدب الإسلامي وغيره من

---

[1] محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر . دراسة وتطبيق . مكتبة المنارة، ط2، الزرقاء، الأردن، 1985، ص65-66.

[2] المرجع نفسه، ص65.

[3] عبد الرحمان رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، ط6، مصر، 2008، ص113.

[4] عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ / 1987 م، ص 69.

[5] عماد الدين خليل: ماهية الأدب الإسلامي، مجلة الفيصل السعودية، العدد76، 1983، ص40.

الآداب قائم على ركن التصور الإسلامي وغير ذلك فهو ليس أدبا إسلاميا[1]. فلابد أن يمتلك الأديب المسلم تصورا شموليا إزاء الكون والحياة والإنسان، وأن ينبثق هذا التصور الذي يطبع التجربة الذاتية عمقا عن الإسلام المتميز، المتفرد، المبين[2].

وكل التعريفات المشار إليها سابقا تتفق في هذين الركنين رغم بعض الإضافات الخاصة لكل تعريف و تترجمها المعادلة الآتية: الأدب الإسلامي= التعبير الجميل {النظرة الجمالية}+ التصور الإسلامي {النظرة الشمولية}.

2- الأدب الإسلامي وتشكل المصطلح:

لقي مصطلح الأدب الإسلامي في النقد العربي المعاصر إشكالات تراوحت بين الرفض والقبول، وبين وضع بدائل عنه

فأما المعارضون الذين رفضوا هذا المصطلح فقد انقسموا إلى فريقين:

- فريق تدفعه الغيرة على الأدب العربي والحماسة له، فلا يريدون مصطلحا يظنون أنه لا مسوّغ له، أو يظنون أنه قد وضع بديلا عن مصطلح الأدب العربي.

- فريق يعارض المصطلح ذاته، كما يعارض بدائله الأخرى[3].

أما في النقد الإسلامي كان سيد قطب أول من استعمل مصطلح الأدب الإسلامي استعمالا واعيا، ولكنه استعمل بجانبه مصطلحا آخر وهو الفن الإسلامي، ثمّ تلاه شقيقه محمد قطب الذي لم يخرج عن هذا المسار، وكذلك تبنى المصطلح نجيب الكيلاني، وعماد الدين خليل وسار على نهجهم بقية النقاد الإسلاميين .

2 / 1 – الأدب الإسلامي وبدائل المصطلح:

لقد ذكر أحمد محمد علي في كتابه "الأدب الإسلامي ضرورة "[4] بأن المصطلحات الدالة على الأدب الإسلامي قد تعددت وتنوعت، نذكر منها:

– أدب الدعوة: فهو يدرس بهذا الاسم في أول الأمر في جامعات المملكة العربية السعودية، والتي رعت الأدب الإسلامي وقررته في العديد من جامعاتها، ونقول في هذا المصطلح أن أدب الدعوة يتوج الأدب الإسلامي، ويمثل قمة العطاء الفني حين يهدف إلى خدمة الدعوة في أي مجال من ميادينها الفسيحة، شريطة أن يكون من حيث الأداء بالغ الروعة، وإلا خرج عن أن يكون أدباً.

كما نرى أن بين أدب الدعوة الإسلامية و"الأدب الإسلامي " خصوص وعموم، فالثاني أعم من الأول، من حيث أن الأول يمثل النتيجة النهائية التي يتوخاها الثاني، غير أنّها نتيجة تزاحمهما المقاصد النفعية والجمالية، اذ الأدب فن ومتعة.

ولكن الأدب الإسلامي لا ينبغي أن يحضر في أدب الدعوة فقط، لأنه كما يدل تعريفه يشمل أي موضوع، وأي تجربة

---

[1] المرجع نفسه، ص ن.

[2] عماد الدين خليل:مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص69.

[3] عبد القدوس أبو صالح: شبهة المصطلح، مجلة الأدب الإسلامي، مج 2،ع 8، 1995 م، ص 21.

[4] أحمد محمد علي: الأدب الإسلامي ضرورة، رابطة الجامعات الإسلامية، ط1، 1411هـ/1991م، ص58،69،43.

إنسانية تتعلق بالكون الفسيح والحياة المتشعبة والإنسان الذي يحيا في هذا الكون.

– **أدب الاتجاه الإسلامي**: «وهو مصطلح طرحه بعض المعارضين لمصطلح الأدب الإسلامي ليكون حلا وسطا، كي لا يتهم أصحابه بأنهم يعارضون الأدب الإسلامي جملة وتفصيلا، فهم يقبلون به اتجاها أدبيا، يكون في غرض من الأغراض الشعرية، أو لدى شاعر أو كاتب ظهر في نتاجه هذا الاتجاه في صورة بارزة لا يمكن تجاهلها»[1].

ونقول في هذا المصطلح أنه يهون من شأن الأدب الإسلامي، ويجعله مجرد اتجاه يظهر حينا ويختفي حينا آخر، وكأنّ الإسلام الذي أوجد الأمة الإسلامية وميزها، بما فيه من خصائص التصوّر الإسلامي – لم يوجد في أدب هذه الأمة ما يتجاوز الاتجاه الأدبي ليكون أدبا إسلاميا، له مفهومه المتميز وسماته الخاصة.

وإذا كنا نرفض مصطلح " الاتجاه الإسلامي " بديلا عن مصطلح " الأدب الإسلامي" ، فإننا لا نرفضه إذا بقي إلى جواره يصف واقع أديب معين، يمثل أدبه اتجاهات متعددة، يجيء الاتجاه الإسلامي واحدا منها، فهذا أمر واقع لا ننكره، وتوصيف لا نرفضه، ما دام يصف اتجاه بعينه.

– **الأدب المسلم**: ويراد بهذا المصطلح، الأدب الذي يصدر عن أيّ مسلم كان، فقد قال به محمد أحمد العرب، وقد بنى دعوته على ما اعترض به على مصطلح الأدب الإسلامي، حيث يقول: «إن مشكلة الأدب الإسلامي تتلخص في أنه – لرحابة الإسلام وشموله – يدخل فيه ذلك النوع من الأدب الذي يلتقي مع التصور الإسلامي وإن كان قائله غير مسلم، إذ لا أستطيع أن أقول: أن هذه المقولة ليست إسلامية لمجرد صدورها عن فنان غير مسلم، خاصة إذا كانت لا تشكل أي تحد من أي لون لأي قيمة إسلامية، وأتصور أنه التخلص من هذا الإشكال لا بد أن يغيّر المصطلح إلى الأدب المسلم وليس الأدب الإسلامي»[2].

يعلق عبد القدوس أبو صالح على هذا التعريف، مخاطبا الناقد فيقول له: «لقد نجوت من واحدة فوقعت في أخرى ... لأن الاصطلاح الذي تقترحه وهو الأدب المسلم ليس مانعا ولا جامعا، أمّا لأنه ليس مانعا، فلأنه يدخل في "الأدب المسلم" الذي عرفته "كل أدب صدر عن مسلم" أي نص كان، مهما كان مضمونه موافقا أو مخالفا للتصور الإسلامي»[3]. ونحن نعرف أن كثيرا من الأدباء المسلمين أنتجوا على مرّ العصور، وفي الأدب القديم والحديث نصوصا فيها من الكفر والإلحاد والزندقة والمجون ما يصادم التصور الإسلامي، فكيف نعد هذه النصوص من " الأدب المسلم " وهي في مضمونها أبعد ما تكون عن الإسلام، بل ربما دعت إلى نبذ الإسلام بكل ما فيه .

– **آداب الشعوب الإسلامية**: فهو كما تدل صيغته مصطلح غير جامع، لأن من أدباء هذه الشعوب من بعد عن الحق، ووسم بفساد الفطرة فراح يضمّن أدبه المستهجن ، مما لا يعدّ من صميم الأدب الإسلامي، ولا يحقق المقصود من الأدب الذي نطمح إليه وإن يتضمن من مواضيع الأدب الإسلامي.

---

[1] عبد القدوس أبو صالح، شبهة المصطلح، مرجع سابق، ص 4.

[2] المرجع نفسه، ص 3.

[3] المرجع نفسه، ص 4.

– **الأدب الديني**: ومن البدائل التي طرحت بصورة عرضية مصطلح "الأدب الديني" وهو مصطلح قديم أطلق على كل نتاج أدبي يتصل بأي دين كان، ويقصد به أصحابه الأدب الذي ينتمي إلى الدين، وهذه حقيقة تاريخية، فكل الآداب القديمة والحديثة نشأت مرتبطة بالدين والمعتقد ارتباطا عضوياً «ومن المعروف أن الآداب القديمة نشأت في حضن الدين بما في ذلك الأدب اليوناني والروماني»[1]، وليس بضير الأدب الإسلامي أن يوصف بأنه أدب ديني فتلك حقيقة بديهية، لأنه ينطلق من التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون، والأدب الإسلامي هو أدب ديني قبل كل شيء، والحديث عن القضايا الدينية هو جزء مما تتوخاه نظرية الأدب الإسلامي.

ولكن الذين يريدون إطلاق مصطلح "الأدب الديني" بديلا عن مصطلح الأدب الإسلامي، إنما يهدفون إلى أن هذا الأدب يدور في مجال ضيق محدد، لا يتجاوز الموضوعات الدينية إلى آفاق الحياة والكون الواسع.

كما نرى انه من يعارض هذا المصطلح، يقولون بأنّ الأدب الإسلامي ينطلق من خصوصية دين معين يختلف عن الأديان الأخرى كالدين اليهودي والدين المسيحي وبكونه نظاما شاملا لا يقتصر على العقيدة والعبادة، وهذا الشمول يفتح للأدب الإسلامي آفاق الكون بكلّ ما فيه.

– **أدب العقيدة**: لقد قدم بعضهم مصطلح "أدب العقيدة الإسلامية" وهو لا يختلف عن مصطلح الأدب الإسلامي، إلا بما في هذا المصطلح الأخير من الشمول، «فالأدب الإسلامي ينطلق من العقيدة الإسلامية، ولكن لا ينحصر في موضوعات العقيدة، ولا يحصر في أدب الدعوة»[2]، كما يتميز الأدب الإسلامي عن أدب العقيدة الإسلامية، بأنه – وإن نشأ في كنفها – أعمّ منها لا يقتصر على ذكرها وتمجيدها، وإنما يشمل ذلك وغيره.

– **الأدب الأخلاقي**: ومع أن الأدب الإسلامي أدب أخلاقي دون ريب، ويشرفه أن يدعو إلى مكارم الأخلاق، غير أن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق هذا المصطلح تخصيص هذا الأدب بالأخلاق والمواعظ والإرشاد والتوجيه فقط، وأنه تقييد للأدب الإسلامي، وتهوين من شأنه، ومن ثمّ: «فإن الذين ادعوا أنه مجرد أدب أخلاق ومواعظ وإرشاد...إنما زعموا ذلك لأنهم لا يرون في الإسلام ما يصلح أن يكون بديلا عن الإيديولوجيات التي تنطلق منها المذاهب الأدبية العالمية»[3]، ولكن نقول أن هذا الدين يتضمن ما أوسع من الإيديولوجية لأنه يشمل العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وقد سبق معنا أن الأدب الإسلامي أوسع من أن يقتصر على جانب دون جانب، ومن ثمّ تكون علاقة الأدب الأخلاقي بالأدب الإسلامي علاقة الجزء بالكل

كما ترددت مصطلحات أخرى منها: **الأدب الإصلاحي، الأدب المحافظ، الأدب الإحيائي، الأدب الأصيل، الأدب التراثي، الأدب الملتزم، أدب الفكرة الإسلامية، أدب الفكر الإسلامي، أدب الصحوة الإسلامية، أدب الحضارة الإسلامية** ... ولتجنب الاضطراب المصطلحي تعد دلالة الأدب الإسلامي أكثر تحقيقا لترابط الأدب بالإسلام وأشد وضوحا

---

[1] عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، جدة، دار المنارة، 1405 هـ، ص 25.

[2] عبد القدوس أبو صالح: شبهة المصطلح، ص 7.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

وخصوصية فيه[1]، وبذلك ترجح تداول مصطلح الأدب الإسلامي على غيره من المصطلحات.

يبدو أن هذا التعدد في المصطلح الإسلامي الذي لم يحدد المؤلفون زمانه ومكانه إنما نشأ بعد مرحلة الوعي الأولى بهذا الأدب.كما أن كثرة المصطلحات واختلافها واصطراعها علامة صحية في نشأة أيّ علم أو فن وهي وضع طبيعيّ، ولكن المصطلح الذي يكتب له البقاء ويحظى بالقبول هو الذي يكون أكثر دلالة على ما وضع له وأشدّ انطباقا على موضوعه، وهذا الذي حدث فعلا، حين استقر الأمر لمصطلح الأدب الإسلامي لكونه مصطلحا جامعا مانعا.

ومن مجموع ما تقدم يستنتج الدارس أن منظري الأدب الإسلامي يقدمون فهما جديدا للنقد الأدبي المعاصر، حين يجعلون هذا الأدب مرتبطا بالإسلام وبتصوره للكون والعالم والحياة، فهما جديدا لأن مصطلح "الأدب الإسلامي" لم يكن يعني من قبل سوى أدب فترة معينة هي عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وقد يتوسع فيه فيشمل أدب العصر الأموي، ووفقا لهذا التحديد يكون الأدب الإسلامي أدب فترة لا أدب فكرة. ويقصر مصطلح "الأدب الإسلامي" على هذه الفترات التاريخية الأولى وينقطع امتداده إلى الفترات اللاحقة ،وليس لذلك ما يسنده من الحجج أو يقويه.

وشغل مصطلح الأدب الإسلامي مساحة زمنية ومكانية كفلت له أن يستقرّ، وأن يأخذ مكانه بين الآداب الأخرى، فقد تناولته العديد من الأقلام بالدرس والبحث، وتبنته رابطة سميت برابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأقيمت له الندوات والمؤتمرات على مستوى عالمي، كما جعل المصطلح عنوانا لكتب عديدة [2]، ولقي بذلك إجماعا لدى الأدباء والنقاد الإسلاميين.

وكما نرى أن مصطلح الأدب الإسلامي بلفظه وشكله المتداول حاليا لم يكن موجودا في الماضي، ولكنه بمفهومه ودلالته كان موجودا وثابتا وأصيلا وجوهريا، ليس فقط في تراث أسلافنا من علماء الإسلام ودارسيه ونقاده، ولكنه قبل ذلك موجود في مفهوم القرآن الكريم ، وفي مفهوم الحديث النبوي الشريف، رغم أنّه يظل مصطلحا حديثا لا استخدام له عند أوائل المسلمين، فهو مصطلح حديث نشأ للتعبير عن مفهوم قديم، ويجب أن نفرق بين شكل المصطلح وصورته اللفظية الجديدة، ومفهومه ودلالته التي ليست من ابتداع المحدثين المعاصرين.

2 / 2: الأدب الإسلامي ومصطلح "الإسلاميّة":

الحقيقة هي أن الإسلامية غير الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية والوجودية والسريالية ... هي مذهب متميّز، قد يلتقي مع هذا المذهب أو ذاك لقاء جزئيا، ولكنه يبقى مذهبا أدبياً إسلامياً مستقلاً، لأنه في الأصول أو الكليات لا يمكن بحال أن يلتقي مع المذاهب الأدبية الأخرى، لأنّ نقاط الخلاف أكبر بكثير وأعمق من نقاط اللّقاء، فالمذهب الإسلامي في الأدب ينبثق عن رؤية تصدر عن الله سبحانه وتعالى، الذي أنعم على البشرية بالدين القيم (الإسلام)، أما

---

[1] سعد أبو الرضا، الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح، مجلة الأدب الإسلامي السنة2، مج 2، ع7، 1995، ص95.

[2] منها سلسلة دراسات في الأدب الإسلامي ونقده: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، لعبد الباسط بدر، وكتاب "من قضايا الأدب الإسلامي " لصالح آدم بيلو، وكتاب مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي لمصطفى عليان، وكتاب "دراسات في الأدب الإسلامي لمحمد خلف الله أحمد " وكتاب " دراسات في الأدب الإسلامي لسامي مكي العاني، وكتاب " الأدب الإسلامي قضية وبناء لسعد أبو الرضا، وكتاب " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " لمحمد رابع الندوي، أضف إلى ذلك كتب عماد الدين خليل ونجيب الكيلاني ومحمد قطب وعدنان علي رضا النحوي، وغيرهم.

المذاهب الأدبية الغربية فتنبثق عن رؤى بشرية وضعية قاصرة، تتضمن الكثير من الأخطاء والثغرات والأحكام النسبية والاختلال والتطرف .

أ– "الإسلامية" والمذاهب الأدبية الغربية:

اتفق النقاد الإسلاميون على أن الأدب الإسلامي ونقده أوسع رؤية من المذاهب الأدبية الأخرى، شمولية وكونية وإنسانية إذ يرى نجيب الكيلاني: «ونحن لا نعدّ الإسلامية مذهبا كالواقعية والرومانسية والوجودية والبرناسية ... الخ. فالأدب أوسع من القواعد المحلية أو الطارئة، فالإسلام دين إنساني شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان وان تلاءم معها، وتماشىّ مع منطقها المتطور المتجدد الأشكال، الثابت الجوهر، وتبعا لذلك تكون الإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحب من المذاهب وأسمى من القيود»[1].

كما أكد محمد إقبال عروي أن الإسلامية ليست مثل تلك المذاهب الأدبية، بل هي أقدم وأشمل وأرحب منها فهي متجذرة في تربة التاريخ، وشهدت بدايتها الفعلية مع الدولة الإسلامية الراشدة [2]، غير أن عماد الدين خليل يوضّح هذه العلاقة بدقة وموضوعية[3]، حين رأى أن الفنّ الإسلامي فنّ منفتح على شتى المذاهب الفنيّة، ما دامت منسجمة في اتجاهاتها وتفاصيلها مع حركة الكون والإنسان الايجابية في سبيل الحق والعدل الأزليين، وفي إطار الجمال المبدع بعيدا عن الكذب والزيف والتناقض. إنّه مرن بحيث يتسع لكل المذاهب ويزيد عليها في سعة نظرته الكونية وعمقها وشمولها. إنه:

– (كلاسيكي) حين يعبر عن التناسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية، وحين يمجد بطولة الإنسان وإيجابيته إزاء الأحداث، وقدرته على تشكيل مصيره ...

– (رومانسي) حين يعبر عن أعماق الإنسان المؤمن، وعن تجاربه الشعورية المتنوعة التي تنبثق من الإيمان بالله وعن الحب الكبير الذي يتفجر عن الإيمان، ويتجه صوب كل الناس وكل الأشياء.

– (واقعي) حين يعلن ثورته الانقلابية على كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم وعلى كل الطواغيت التي لا تقرها وحدانية الله، والتي يأباها التحرر الوجداني للإنسان المسلم، ذلك التحرر الذي يبدأ من أعماقه لينتهي بالكون ... (واقعي) حين يصرخ في وجوه القوى المتسلطة التي تعذب الإنسان بالظلم الاجتماعي، وبالتناقض الطبقي بشتى مستوياته، ويخنق حريته والاستهانة بكرامته ... (واقعي) حين يعبر عن لحظات الضعف البشري أمام شتى المغريات، ولكنه لا يسلط عليها الأنوار باعتبارها لحظة الانتصار، ولكن باعتبارها لحظة الضعف التي يستمد منها الإنسان القدرة على الصعود.

– (وجداني) في تعبيره عن نظرة الإنسان الشخصية المستمدة من تجربته الإيمانية ... (وجداني) في تعبيره عن أعمق مجريات الإنسان النفسية وأحداث عالمه الباطني تلك التي تسعى به دوما إلى التناغم والتآلف والتعاطف مع سائر الخلائق

---

[1] نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، ط 3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406 هـ / 1983 م، ص 47.

[2] محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي،ط 1، الدار البيضاء، المكتبة السلفية، 1986، ص 19.

[3] عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، ط 4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ / 1987 م، ص 40 – 42.

والأشياء.

– إلاّ أنّه فنّ يأبى الانحراف، يأبى – مثلا – تأليه الإنسان (كلاسيكيا)، وإغراقه الذاتي الأناني (رومانسيا)، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيا)، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجوديا) فليس ثمة عبث، ولا جدوى كما يرى (كامي)، وليس ثمة لا معقولية للحياة والوجود كما يرى (كافكا)، وليس ثمة حرية مطلقة من كل قيد كما يرى (سارتر)، وليس ثمة تناقضات نفسية لا نهاية لها، تنتهي دائما بالضياع كما يرى (ديستوفسكي).

– إن الفن الإسلامي يستمدّ تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، فللوجود غاية، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)** ﴾[1]ولكدح الإنسان جدوى، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)**﴾[3]، وللحياة معقولية لأنها صدرت عن إرادة الله التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها... وحرية الإنسان عميقة في كيانه، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التي تنتهي دائما بتهديم من الإنسان وتمزق علائقه مع الوجود الخارجي من حوله، وتجارب الإنسان الذاتية ليست كلها تناقضات وأضداد نفسية ووجدانية، ذلك أن الذي يصدر عن الإيمان بالله يجد في كيانه طاقة ضخمة، تسعى لتجميع تجاربه النفسية هذه، وتوجهها في خط متصاعد هدفه التوحيد .

– إن إطار الفن الإسلامي إطار كوني ملتزم، وإنساني إيماني وثوري توحيدي، وأخلاقي ايجابي، وكما يعبّر الإسلام عن مرونته الفنيّة في قضية المحتوى الفني، فإنّه يمتلك ذات المرونة في مسألة الشكل، فهو مفتوح للتعبير عن التجربة الفنية بأية وسيلة كانت: الكلمة، الصوت، الحركة، التشكيل... ضمن الإطار الذي يرتضيه، ذلك أن إحدى معجزات القرآن الكريم نفسه تقديم أمثلة عليا للأداء الفني الذي يعتمد الكلمة والموسيقى والصورة الفنية، في وحدة متجانسة، رائعة، تعبر عن مثل أعلى للعطاء الفني.

نبّه عماد الدين خليلإلى ملاحظتين للتفريق بين رحلة المضمون ورحلة التقنية لهذه المذاهب عبر التاريخ، مع طرح التحفظ التقليدي حول الارتباط الوثيق بينهما:

–أن التقنية مسألة تكاد تكون عامة، أي هي عطاء مشترك بين الشعوب والحضارات كافة، لكونها في كثير من الأحيان تحمل طابعا حياديا لا يميل صوب هذا الاتجاه أو ذاك، إلاّ من خلال المضمون الذي يحمله، بينما كانت المضامين في معظم الأحيان ألصق بالنسيج الحضاري الذي تخلّقت آدابها فيه تصورا وفلسفة، رؤية للحياة والوجود، وسلوكا وخبرات، وعملا يوميا. وقد تلتقي هذه المضامين عند الإنسان ولكنها تفترق في الرؤية التي تقدمها عن مركز الإنسان في الكون، وفي فلسفتها إزاء مصيره ووجوده.

---

[1] سورة المؤمنون، الآية 115.

[2] سورة الانشقاق، الآية 6.

[3] سورة النجم، الآية 39 – 41.

–أن أنماط الأنواع باعتبارها تقنيات جمالية صرفة، كانت تتطور باستمرار وتزداد تفريعاتها ومعطياتها، وكأن الزمن في خدمة هذا التطور بالنسبة لمسألة هي أقرب ما تكون إلى علم حيادي، ذي قواعد دينامية قابلة للتطوير والتحوير.لكن لا يجب أن نغفل خلال ذلك عن حقيقة لا تقل أهمية وهي أن الشكل، أو التقنية ترتبط في بعض الأحيان، بل في كثير من الأحيان بالمضمون فتؤثر فيه وتتأثر به، وتكون بينها علاقة تبادلية تجعل من الصعوبة بمكان فك الارتباط بينهما، ومعالجة كل منها على انفراد [1].

ب– مسوغات "الإسلاميّة" في الأدب:

الإسلامية مذهب متميز دون المذاهب الأخرى، قد تلتقي مع إحداها ولكنها تبقى مذهبا إسلاميا مستقلا ... وإنّه إذا حدث أن التقى مع المذاهب الأدبية الأخرى بالشكل، فإنه يندر على مستوى المضمون لأن نقاط الاختلاف أكبر وأعمق من نقاط اللقاء، فهنا ينبثق المذهب الإسلامي في الأدب عن رؤية تؤمن بالله سبحانه، أما المذاهب الأدبية الأخرى فهي تنبثق عن رؤى بشرية وضعية قاصرة، فيها الكثير من الأخطاء، والثغرات، والاختلال [2]، ومهما يكن فإنّ التفاعل والتواصل بين الإسلامية والمذاهب الأخرى أمر ضروري لأن الإسلام وحده لا يكفي لإنشاء فن إسلامي ... والفن ليس فكرة ولا فلسفة ولا مفاهيم مجردة، كالتي تعنى بها البحوث الفكرية في شتى الميادين وإنما هو الانفعال الذاتي الخاص، بالأشياء والأشخاص والأحداث والانفعال الذي تتلقاه كل نفس مفردة على طريقتها الخاصة في التلقي، وتنفعل به أعماقها، وتعانيه معاناة كاملة بكل جزئياته وتفصيلاته[3]، وإزاء عملية التفاعل والتواصل فمن الضروري أن يكون للإسلاميين مذهبهم الأدبي المتميز وألا يتلفتوا ذات اليمين وذات الشمال طالبين المعونة من المذاهب الأخرى، بقدر ما يمكنهم ذلك من أدواتهم الفنية ليزيدهم قدرة على التعبير الجمالي المؤثر للتصوّر المنفرد الذي يحملونه، أو التجربة التي يعيشونها .

يتميز موقف عماد الدين بالوسطية والتوازن في رؤيته لفكرة التواصل مع المذهب الأدبية الأخرى، وفي رؤيته للظواهر وتحليله لها، كذلك في طرحه الحلول لمعضلاتها موضّحا موقفه بالقول: «ولا يذهب الظنّ إلى أن الموقف الوسطي يعني الحل الوسط أبدا، فالموقف رفض للجنوح ذات اليمين أو ذات الشمال، والحل الوسط قبول تفاريق من اليمين أو اليسار.... أجزاء من هذا الجانب أو ذلك... الموقف أصالة وذاتية، والحل الوسط مركب من عديد من المواقف، فهو وسطي إذن بشموليته، وموضوعيته، وإدراكه الفذّ لمطالب الحياة والإنسان، وقدراته الفريدة على وضع الحلول المناسبة التي تنطبق على الوضع أو المعضلة انطباقا رياضيا باهرا»[4].

فإذا كان هذا الأدب ينبثق بالضرورة عن منظور متميز ورؤية متفردة هي الرؤية الإسلامية بخصائصها ومميزاتها، أفلا تكون الإسلامية بالتالي مذهبا متميزا بين الآداب بمذاهبها كافة؟[5]، لا شك أن للمذهب الإسلامي رؤية واضحة ومتميزة

---

[1] عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، ص 123 - 124.

[2] عماد الدين خليل، ملاحظات حول النوع الأدبي والمضمون والمذهب، مجلة المشكاة، العدد 4 / 1985 م، ص 38.

[3] محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، ص 264.

[4] المصدر نفسه، ص 96.

[5] عماد الدين خليل: هموم الأدب الإسلامي، ورقة عمل حول المنهج، مجلة المشكاة، العدد 5، لسنة 1994، ص 115 – 116.

للواقع وللحياة والوجود والمصير، مما يجعله فضلا عن واقعيته يتّسم بالشمولية مثل: «كل ما يحدث في حياة بني الإنسان من تطورات اجتماعية وسياسية وفكرية وروحية، ولا يغفل عن نقاط الضّعف ونقاط القوة في حياة الإنسان ولكنه يصورها من منبعها الحقيقي من داخل النفس الإنسانية المتفاعلة مع الكون والحياة»[1]،

– ومن الملامح التي تميّز الإسلامية عن سائر المذاهب والأفكار، ذلك الانسجام والتكيف بين "الأنا" و"نحن"، والتشابك بين الفرد والجماعة، مما يحقق وحدة "حضارية" متكاملة، مجانسة، منسجمة يتيح لها بتجاوزها سلبيات التصادم والتنافر، أقصى درجات العطاء وأشدّ حالات "التوافق" مع نواميس الكون والحياة والإنسان[2]، في ضوء ما قدمه عماد الدين خليل من رؤية حول المعطى الإبداعي للأدب الإسلامي، يبدو من الأمور المسلم بها أن تكون "الإسلامية" مذهبا وليست مجرد معيار رؤيوي تقاس به أو تحال إليه الأعمال أو النصوص الإبداعية: «وليس صعبا أن يتأكد المرء من هذا بمجرد أن يتابع الملامح المتميزة للمعطيات الإبداعية الإسلامية التي أخذت تمتد عمقا ومساحة عبر العقدين الآخرين على وجه الخصوص، فإذا تذكرنا أنها شكلت في الأساس لكي تعبر عن المنظور الإسلامي ولكي تقدم البديل "المذهبي" لآداب الغرب التي استأثرت بالساحة الأدبية وجعلت من العالم كله "مجالا" لظنونها وأوهامها، وأحيانا نزواتها وعبثها الرؤيوي، عرفنا أن المسألة أكبر من أن تكون مجرد معيار تُقاس به أو تُحال عليه هذه المفردة الإبداعية أو تلك»[3].

– إحدى الخصائص التي تفرق "الإسلامية" عن سائر المذاهب البشرية تكمن في النظرة إلى المعمار الكوني، فالإسلام يراه بنيانا مركبا يتضمن المادي وغير المادي المنظور، الظاهر والباطن، الذي يمكن أن نتعامل معه بالحواس، ولا يمكن التعامل معه إلا بوسائط أخرى غير حسّية، أما المذاهب الأخرى فهي تراه بنيانا مسطحا ذا وجه غير مزدوج، تقدر الحواس على التعامل معه، والكشف عن أسراره ومعمياته، لم يتسنّ للمذاهب الأخرى أن تحقق ما حققته "الإسلامية" من توازن بين الوحي والعقل والعدل والحرية، والطبيعة وما وراءها، والوحدة والتنوع، والمنظور والغيب، والمنفعة والأخلاق، والقدر والاختيار، والحياة والموت، فيما خسرت الحضارة الغربية المعاصرة دورها الوظيفي الذي يعاني من اختلال التوازن بين الثنائيات. وتحقيق التوازن بين الثنائيات، أن تكون العلاقة بين الإنسان وبين القيم الآنفة علاقة ملتزمة بشكل ايجابي، ولا يتأتى هذا التّوازن إلا بالتخطيط العقائدي الذي يشمل كل جوانب الحياة، محذّرا عماد الدين خليل من (الانحراف) عن القيم الإنسانية والخلقية بقوله: «لقد لعب عامل "الانحراف" دورًا خطيرا في التاريخ، والتفسير التاريخي لابد وأن يعطي لهذا العامل دوره الفعال في سقوط الدول والحضارات، فالحضارة (الكلاسيكية) سقطت لأنها خرجت عن القيم الخلقية والإنسانية، وغدا التزامها سلبيا، وحضارة (عصر الإحياء) سقطت لأنها خرجت عن العقيدة وغدا التزامها بها سلبيا ... وعندما تغدو العلاقة بين هذه الدوائر جميعا قائمة على الصدام والرفض والتناقض أي عندما يحدث (الانحراف) ويفتقد عنصر (التوازن)، فان الوجود الإنساني – آنذاك – سوف يفقد تكامله ويكف بالتالي عن عطائه الحضاري»[4].

---

[1] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص 92.

[2] عماد الدين خليل، آفاق قرآنية، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1982م، ص 56.

[3] عماد الدين خليل، الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي، عمان، دار الضياء للنشر، 2000، ص 159.

[4] عماد الدين خليل، تهافت العلمانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1975 م، ص71.

– المغالاة الضالة في تقديس الواقع هي التي يرفضها الإسلام، فالإسلام يجعل للواقع منزلته الأمينة العادلة والواقع هو منهاج الله وبدون فهم الواقع وتقييمه من خلاله تضطرب الممارسة الإيمانية فالواقع في الإسلام هو مصدر من مصادر المعرفة ولكنه ليس المصدر الوحيد، ولا هو مصدر الحق الكامل المطلق والواقع كذلك هو ميدان واسع تظهر فيه آيات الله البينات في حياة الإنسان وحياة الشعوب والأمم وفي مظاهر الكون المختلفة.إن الواقع بهذه الصورة الإيمانية الحية يدفع أدبا إسلاميا يعرف الواقع ويفهمه على تقيد بعقيدة ونهج وينطلق إلى أهداف جلية ويستفيد من نعمة العقل التي وهبها الله للإنسان، ويدفع الخيال الظاهر في كون فسيح وعوالم ممتدّة، فإذا توافرت الموهبة والعبقرية حقق الأدب الإسلامي بذلك ذروة الإبداع الإنساني وقمة العطاء . والإسلام يحدد العلاقة بين الإنسان والواقع تحديدا واضحا يصدر عن نور الإيمان وجلاء العقيدة ونستطيع أن نفهم هذه العلاقة من خلال تعابير وردت في كتاب الله تبين ميادين العلاقة، فالعبادة والخلافة والأمانة والعمارة والابتلاء تعطي الصورة الكاملة لهذه العلاقة من جميع جوانبها[1].

– رفض فكرة أنّ الأنواع الأدبية تكوّنت بمعزل عن التجربة التاريخية التي تجعل كل المعطيات التي تتمخض في مرحلة ما انبثاقا عن القاعدة الاقتصادية بل إنها التجربة التاريخية بشكلها العام الواسع، بكل ما تتضمنه من معطيات روحية ومادية واقتصادية وجمالية، فردية وجماعية دون أن نحصرها في نظام اقتصادي معين، وهو في هذا الصدد يشير إلى الرؤية الماركسية التي تحصر الأدب في دائرة اقتصادية مغلقة دون الالتفات إلى باقي العوامل الأخرى المشكلة للأدب. ثم ينتقل الناقد إلى تقديم نقد صريح للماركسية على اعتباره أنها مذهب يلزم الكاتب بقضايا اجتماعية معينة قد تتعارض في أغلب الأحيان مع أصوله الاجتماعية ومن ثم فإنّ الأصول الاجتماعية للكاتب لا تلعب إلاّ دورا ثانويا في القضايا التي يثيرها لأنّه يخضع نفسه في خدمة طبقة أخرى، والناقد الماركسي الذي تشخص عليه بعض المسائل الجمالية الأدبية يجد نفسه مضطرا لقبول بعض المعطيات التي يسميها هو بالبورجوازية، ويتهم من لا يتقبل هذه المعطيات كجزء أساسي في نظرية الأدب الماركسي بأنه لم يفهم تماما الفلسفة الماركسية. والنوع الأدبي في نظر "عماد الدين خليل" هو وليد مؤثرات تاريخية ومنازع ذاتية، كما أنّه شديد الارتباط بالدين كتجربة حيوية دافعة للتعبير الجمالي والدين كمعطى فوقي بدءا من الزبر الأولى وانتهاء بالقرآن الكريم. وقد اعتمد الكثير من صيغ التعبير الجمالي الأدبي لهز الوجدان البشري ومنحه القناعات الجديدة.

– الانفتاح على الأنواع الأدبية ومنه المسرح، حيث يقول: «إن الحديث عن المسرح ينسحب عن الأنواع الأدبية الأخرى كالأقصوصة والقصة، والرواية والشعر حيث يتوجب على الأديب المسلم أن يتحرر أكثر فأكثر من عقدة التخوف من الأشكال المتجددة بسبب ديناميتها، وأن يتجاوز مواقف التردّد ما دام أنّ الشكل في معظم حالاته صيغة حيادية يمكن أن تخدم أي تصور على اختلاف التصورات»[2] وانطلاقا من هذه الرؤية كتب الناقد في مقدمة ديوانه "جداول الحب واليقين" دعوة ضمنية لاعتماد كافة الصيغ التي يكتب من خلالها الشعر على اختلافها، وانطلاقا من الرؤية نفسها كذلك بموجب الانفتاح على كافة أشكال العمل الروائي: قصة وأقصوصة ورواية ويشير الناقد إلى أنّ الأقسام الأخيرة من كتاب "محاولات جديدة في النقد الإسلامي" بمثابة تنفيذ نقدي لهذه الدعوة «حيث عولجت هناك رواية (عمالقة الشمال) لنجيب الكيلاني

[2] عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص 137.

وثلاث مجاميع من القصة القصيرة لإبراهيم العاصي ومحمود مفلح»[1]. ويشير بذلك "عماد الدين خليل" إلى مسألة مهمة، مرتبطة بالإسلامية في الأدب، وهي:

– الشكل الفني في التعبير الإسلامي حيث يقول: «وكما يعبر الإسلام عن مرونته الفنية على مستوى المحتوى الفني فإنّه يمتلك ذات المرونة على مستوى الشكل فهو مفتوح على التعبير الجمالي بأية وسيلة كانت سواء: الصوت أو الكلمة أو الحركة» وهذا ما جعل القرآن الكريم مثلا أعلى للعطاء الفني.

– الالتزام الفني الذي يمثل في نظره ضغطا على الفنان لأنّه يحتم عليه سياقا معينا في المضامين والحيلة الفنية التي يمكن أن تخلص الفنان من هذا الضغط وتحمله إلى دائرة الإبداع الفائق هو عدم الاقتصار على مذهب فني واحد في الأداء ومحاولة الإفادة من معطيات المذاهب الفنية كافة من خلال الانتقاء الموزون كيلا يفقد عمله الفني تناسبه الجمالي المطلوب.

ونخلص إلى أن النقد الإسلامي اهتم بفكرة الإسلامية وعلاقتها بالمذاهب الأدبية، وكذلك ارتباطها ببعض المسائل الفكرية والجمالية، التي يجب إعادة النظر فيها، بما يتوافق مع التصور الإسلامي للوجود، مع التأكيد إلى مسألة مهمة وهي أنّ الأدب ظاهرة إنسانية لم يستأثر بها شعب دون شعب، ولا تفردت بمعطياته أمّة دون أخرى، فكافة الشعوب والأقوام كان لها دورها المقسوم في ساحات الأدب، وبمرور الزمن، وبتأثير عوامل شتى بعضها ذاتي وبعضها موضوعي أخذت تظهر وتتميز أنواع أدبية كل منها يحمل سماته الخاصة المستقلة.

وأنّ الإسلامية هي غير الكلاسيكية أو الرومانسية أو الكلاسيكية الجديدة أو الواقعية أو الطبيعية أو الرمزية أو السريالية أو الطليعة أو المستقبلية، إنّه مذهب متميز ... قد يلتقي مع هذا المذهب أو ذاك لقاء جزئيا ولكنّه يبقى مذهبا أدبيا إسلاميا مستقلا لأنّه في الأصول والكليات لا يمكن بحال أن يلتقي مع أي الأنواع الأدبية الأخرى. إنه إذا حدث أن تمّ لقاء ما في "الشكل" فإنه يندر على مستوى المضمون ... والمذهب عموما[2].

وأن نقاط الاختلاف أكبر بكثير من نقاط التلاقي فالمذهب الإسلامي في الأدب ينبثق عن رؤية تصدر عن الله سبحانه الذي أنعم على البشرية بالدين القيّم، أما المذاهب الأدبية فتنبثق عن رؤى بشرية وضعية قاصرة، تتضمن الكثير من الأخطاء والنقائص والعثرات لذلك وجب على الأديب المسلم الملتزم أن يعتمد الإسلامية في تعبيره من أجل أن يكون صدوره منطقيا ومنسجما مع ما يؤمن به ويعتقده.

ج – "الإسلامية" و دوائر الأدب:

إن الإسلامية بمفهومها العام هي أن نؤمن بالتصور الإسلامي لله والوجود والإنسان ، والعلاقة التي تربط بين هذه الأطراف جميعا، ومقومات الإسلامية هي الإسلام بأركانه، والإيمان بالتوحيد وبتكامل الوحي والعقل وشمولية المنهج.أما الإسلامية في الأدب تعني وجهة التصور الإسلامية للإنسان والله والكون فيما يتعلق بالمفاهيم الأدبية ولا يمكن أن نعتبر الإسلامية مذهبا كالرومانسية والواقعية والوجودية ... فالأدب أوسع من أن يحيط به مذهب محدود وأرحب من أن نحصره في

[1] المرجع نفسه، ص 143.
[2] المرجع نفسه، ص 153.

قيود من القواعد المحلية والطارئة والإسلام دين إنساني شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان ... وتبعا لذلك تكون الإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحب من المذاهب وأسمى من القيود.

ولن يستطيع أي كان أن يكتب أدبا إسلاميا، إذا كان تصوره ناقصا أو مشوشا أو مهتزا ولا بأس أن نفرق هنا بين الإسلامية في التصور ولاعتقاد، وبين للإسلامية كمفهوم للفن والأدب والإبداع، وتتجلى مقومات الإسلامية في الأدب أن الحقيقة عند المسلم هي وحدة لها ثلاث مظاهر . الحق، الخبرة، الجمال، فكل ما لدينا من حركة فكرية يجب أن يقود إلى الحق، وكل ما بين أيدينا من عملية سلوك يجب أن يكون هدفها وغايتها الخير، كما أن كل ما يواجه أبصارنا وإحساساتنا وعواطفنا يجب أن يتوجه إلى كل جميل، فالقيم الكبرى الثلاثة محتواة في الإسلامية ومهيمنة على منطوق الأدب ومفهومه أي مضمونه وشكله، كما ذهب إلى ذلك نجيب الكيلاني، سيد قطب، محمد قطب، ومن هنا يمكن أن نشير إلى العلاقة بين الأدب العربي والأدب الإسلامي .

فنرى أن الأدب العربي جزءا من الأدب الإسلامي أو أنه بعض من كل . فمصطلح إسلامي يتضمن الأساس العقائدي للأدب العربي الذي يبشره ويعطيه ثقله المميز في موازين الأدب العالمية، لأن الأدب الإسلامي ليس هو كل ما أنتج تحت المظلة الإسلامية التي اختلط فيها الإسلامي وغير الإسلامي وعدم التمييز بين أدب العصاة وأدب التقاة الذي أنتج وينتج في العالم الإسلامي، فكان العامل الجغرافي والتاريخي هو الذي جمع المراحل الأدبية دون النظر إلى العامل العقيدي، لأننا لا نستطيع أن ننظر إلى أدب النصرانيين واليهود وغيره، على أنه إسلامي، أو الأدب الذي أنتج من منظور إلحادي وإباحي. ويحارب القيم الإسلامية ويعمل على هدمها على أنه إسلامي مثل الأدب الماركسي و الوجودي. مادام أنتج تحت مظلة العالم الإسلامي أو الحضارة الإسلامية[1].

وثمة مشكلة أخرى بخصوص العلاقة بين الإسلامية الأدبية والآداب –الإنسانية– التي نهج أصحابها نهجا نظيفا وبنّاء، التي يبدو في ظاهر الأمر أنها لا تتناقض مع الأدب الإسلامي على الرغم من ظهور طابع العقائد والأفكار غير الإسلامية فيها، لكن هناك فرقا أساسيا بين تقاطع الآداب –أو بعض نصوصها– وبين تطابقها، فالتطابق هو وحده الذي يسوغ الانتماء والاحتواء أما التقاطع فيؤدي إلى قبول النص واستحسانه دون أن تصفه بالإسلامية. وقد حُدد الأدب الإنساني بمصطلحات أخرى: (**أدب الحكمة، أدب الأبعاد الضمنية الإسلامية، الأدب الموافق، الأدب الصالح، الأدب الكادي**). وهذا المصطلح الأخير اقترحه محمد إقبال عروي، وهو مستمد من قول النبي صلى الله عليه وسلم، عن الشاعر أمية بن أبي الصلت، أنه كاد أن يُسلم، وأنه آمن شعره وكفر قلبه[2].

ومن هنا تبين أننا نستطيع أن نحقق في الواقع الأدبي ثلاث دوائر تتباين فيما بينها حسب المقاييس التي يمليها علينا خط الإسلامية في الأدب هي:

---

[1] سعيد الغزاوي، مقالات في النقد الإسلامي، تأصيل وتجريب، الدار البيضاء، الأحمدية للنشر، 1999، ص 131 ـ 137. وكذلك: وليد إبراهيم قصاب، في الأدب الإسلامي، دبي، دار القلم، 1998، ص 23 ـ 40.

[2] محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، ص 219، وكذلك: سعيد الغزاوي، مرجع سابق، ص 136.

- دائرة الأدب الإسلامي (إسلامية الأديب ونصه).
- دائرة الأدب الإنساني (الأبعاد الضمنية الإسلامية في النص).
- دائرة الأدب غير الإسلامي (النص المخالف للتصور الإسلامي).

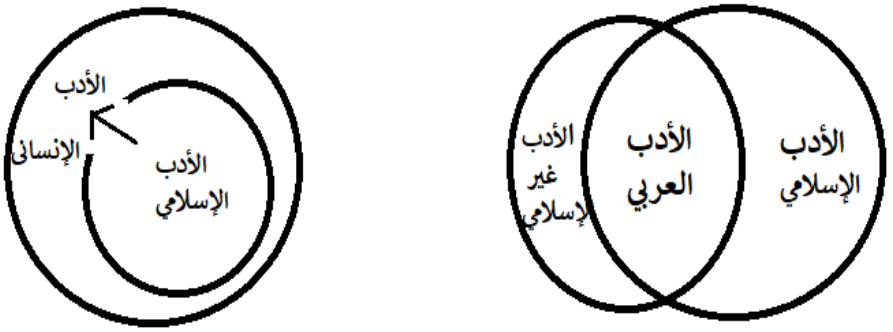

وعلى هذا الأساس الذي يرتبط فيه الأدب بالتصور والاعتقاد، علينا أن نقوِم أدبنا الإسلامي على أسس إسلامية وليس على أسس جاهلية، على أن ندرك أن الفرق بين الأسس الإسلامية والأسس الجاهلية هو الفرق بين الفضاء الفكري الإسلامي والفضاء الفكري القائم على التصورات الأخرى التي لا تنبثق من القرآن سواء منها القديمة التي سبقت الإسلام كالتصور اليوناني والوثني وغيرهما، أو المعاصرة على اختلاف منابعها الفلسفية وكل ما خالف الإسلام فهو جاهلي، لأن الجاهلية ليست فترة زمنية محدودة وإنما هي حال ووضع ونظام فكري وسلوكي يقوم على المفاهيم الجاهلية البعيدة عن مفاهيم الربوبية والألوهية الحقة القائمة على العقيدة والعلم والعمل في الحياة.

مستندات البحث:

- القرآن الكريم.
- ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط 2، القاهرة، 1955.
- ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، بيروت، دار النهضة العربية، د. تا.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار إحياء العلوم، د. تا.
- أحمد أمين، فيض الخاطر، ط 5، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1965، ج 1، و2.
- أحمد بن حنبل، المسند، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د. تا، مج 5.
- أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة، فصول في الأدب ط 8، والنقد، القاهرة، دار النهضة، ج 4.

- أحمد رحماني، النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 1990 م.
- أحمد محمد علي: الأدب الإسلامي ضرورة، رابطة الجامعات الإسلامية، ط1، 1411هـ/1991م.
- ألفة كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ط 1، بيروت، دار التنوير، 1983.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، د. تا، ج 13.
- أيمن مرتضى، فن الأدب، مجلة المنطلق، بيروت، ع 73 / 1411 هـ.
- جاسم الفارس، في الأدب الإسلامي [المعني والوظيفة]، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2014.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط 5، بيروت، دار العلم للملايين، 1984.
- حبيب يوسف مغنية، الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، بيروت، مكتبة الهلال، 1995.
- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، بيروت، دار النهضة، د. تا.
- سعد أبو الرضا: الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح، مجلة الأدب الإسلامي السنة2، مج 2، ع7، 1995.
- سعيد الغزاوي، مقالات في النقد الإسلامي، تأصيل وتجريب، الدار البيضاء، الأحمدية للنشر، 1999.
- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط8، القاهرة، مصر، 2003.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت / القاهرة، دار الشروق، 1406 هـ / 1986 م، مج 5.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 8، القاهرة، دار المعارف، د. تا.
- عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، بيروت، المكتبة العصرية.
- عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، جدة، دار المنارة، 1405 هـ / 1985 م.
- عبد الرحمان رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، ط6، مصر، 2008.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، القاهرة، دار كتاب الشعب، د. تا.
- عبد السلام المسدي، علم الأدب ومنزلته بين العلوم في تراثنا، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع 62 / 1991.
- عبد القدوس أبو صالح، شبهة المصطلح، مجلة الأدب الإسلامي، مج 2،ع 8، 1995 م.
- عدنان رضا النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، الرياض، دار النحوي للنشر، 1407 هـ / 1987 م.
- عماد الدين خليل، آفاق قرآنية، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م.
- عماد الدين خليل، الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي، عمان، دار الضياء للنشر، 2000.
- عماد الدين خليل، تهافت العلمانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1975 م.
- عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، ط 4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ / 1987 م.
- عماد الدين خليل، ماهية الأدب الإسلامي، مجلة الفيصل السعودية، العدد76، 1983.
- عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ط 1، بيرت، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ / 1987م.
- عماد الدين خليل، ملاحظات حول النوع الأدبي والمضمون والمذهب، مجلة المشكاة، العدد 4 لسنة 1985.
- عماد الدين خليل، هموم الأدب الإسلامي، ورقة عمل حول المنهج، مجلة المشكاة، العدد 5 / 1994.

- محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، ط 1، الدار البيضاء، المكتبة السلفية، 1986.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحليل والتنوير، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. تا، ج 11.
- محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي: أصوله وسماته، دار البشير، ط1، عمان، 1992.
- محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر . دراسة وتطبيق، ط2، مكتبة المنارة، الزرقاء، الأردن، 1985.
- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط 6، القاهرة، دار الشروق، 1983.
- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط3، بيروت، دار النهضة، 1392 هـ / 1972 م.
- مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن الكريم، ط 6، بيروت، دار الكتاب العربي، 1974.
- نجيب الكيلاني: الإسلاميّة والمذاهب الأدبية، ط 3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406 هـ/ 1983م.
- نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط1، الدوحة، كتاب الأمة،1987.
- وليد إبراهيم قصاب، في الأدب الإسلامي، دبي، دار القلم، 1998.